

٢- اللغة الكردية

La Langue Kurde.

لم ينبغ شاعر من الشعراء البارزين حتى عهد الأدب المعروف بمحمد الفقيه التيراني من أفراد عشيرة (مكري) الهكارية وكان أديباً مشهوراً . وله عدة تأليف معروفة في القرن التاسع . ويعقبه الملا أحمد من عشيرة (باتا) من الهكارية أيضاً . اشتهر هذا بتأليفه كتاب (المولد النبوي) وهو كتاب لا يزال يتلى في المحافل والأندية الدينية . وانتشرت العشيرة الهكارية بعد عهد هذين الشاعرين حتى منطقة (بايزيد) حيث رسخت أقدامهم .

وفي هذه البقعة نشأ شاعر من أشهر شعراء الكرد وأكثرهم تأليفاً ، وإنتاجاً في الأدب والشعر ، اسمه (أحمد خان) الهكاري ولا تزال كتبته في العلوم والمعارف والأدب أحسن مما كتب في اللغة الكردية . وإنشأ هذا الأدب مدرسة في (بايزيد) وشيد بجانبها مسجداً للمصلين ومن تأليفه معجمه (نوبهار) وهو من اللغة العربية إلى الكردية ولا يزال محفوظاً حتى يومنا هذا في دار التحف البريطانية (١) .

ويتلوه تلميذه (اسماعيل) وهو وإن كان دونه شهرة إلا أن مقامه في عالم الأدب غير مجهول . وشاهد ذلك العصر أكبر كاتب من كتاب الكرد وهو (شريف خان) الهكاري الذي ألف تاريخ الأكراد المسمى (شرفنامه) وهذا الكتاب هو التصنيف الوحيد المعول عليه حتى اليوم في مراجعة تاريخ الأكراد . وله عدة ذلك تأليف حجة في اللغة الكردية ودواوين شعر عديدة .

والفاضل الثاني الذي تشبه الكتب الأدبية بعد شريف خان (مراد خان) الهكاري المولود في (بايزيد) ولكنه لم يكن واسع الشهرة ، وتوفي في عام ١٧٨٤م . هؤلاء معظم مشاعير شعراء الأكراد المشهورين في كردستان الشمالية . أما في كردستان الجنوبية فقد نبغ عدد كبير من الشعراء ولا سيما في ديار عشيرة (كوران خان) الأرملانية في (سنا) إلا أن معظم ما كتبه

(١) راجع ص ٤ من كتاب الغراما طبق الكردي تأليف صون .

هؤلاء. كان منحصرًا في شعر وقصص عشيرتهم التي ينتمون إليها. ولم يظهر في كردستان الجنوبية شعراء عظام حتى أواخر القرن الثامن عشر. ولكن بعد ذلك أصبحت مدينتنا (السليمانية) و (كر كوك) موطنين عدد جسيم من الكتاب الكبار والصغار يضيق بنا المجال عن ذكرهم هنا.

وتعد عشيرة (اللي) أكبر عشيرة بين العشائر الكردية في يومنا هذا، وموطنها في غربي كردستان الغربية.

وعشيرة (حسنالو) التي تقطن سهلاً من سهول أرمينية :
وعشائر (الهكاريين) ومن معهم الذين تقع مواطنهم بين (وان) و (تليس) وشرقي حدود فارس، ووادي الزاب الأعلى، وجزيرة ابن عمر، حتى تصل إلى حدود أربل.

و (عشائر راوندوز) من الجنوب ومن معهم من العشائر القاطنة في غربي السليمانية وشمالها. كل هذه العشائر هي من (كرمانج) ومن ثم هي هكاريّة. وتمتد منطقتهم نحو الجنوب إلى مدى بعيد حتى تصل إلى (قرزلباط) وطريق بغداد وإلى كرمانشاه، حيث عشيرة (الجاف) وهي عشيرة كبيرة لا تقل بيوتها عن عشرة آلاف خيمة كلها من الرحل وأغلة هذه القبيلة هي الكردية الأصلية، ولكنها أصبحت اليوم مزيجاً من لغات أخرى إذ لا تخلو من اصطلاحات وكلمات خاصة بقبيلة اللور.

ولغة (المكري) الذين تقع أراضيهم في جنوبي أرمية من حدود فارس ربما كانت أفصح لغة كردية موجودة في يومنا هذا. وإذا قمنا على الأدباء المشهورين من أدباء الأكراد بهذا العدد الواسع من العشائر المعروفة نجد ضئيلاً لا يكاد يذكر ولكن يجب أن لا ننسى أن عدم الدراسة والتتقيب في تاريخ هذه اللغة هما من الأسباب التي تطلعننا على سر هذه القلة أو الضالة فالمستشرقون من علماء اللغات والآثار لم يهتموا بالتتقيب عن هذه اللغة ولا عنوا بدراساتها عنيتهم بغيرها من اللغات وإذا فتشنا في بطون الكتب عن الذين تفرغوا لهذا البحث نجد الأمانة الانكليزية أقل الأمانة اعتناء بها. وليس من الخطأ القول أننا لم نسمع بأن مستشرقاً انكليزياً في عصرنا هذا كتب شيئاً أو ألف كتاباً عن

اللغة الكردية اللهم إلا المستر صون Soane الحاكم السياسي في السليمانية . وهذا الفاضل لم يأت الى كردستان باحثا او دارسا، انما جاء بمهمة سياسية قضت عليه ان يبقى بين العشائر الكردية اعواما قليل الحرب وبذلك تمكن من الوقوف على اسرار هذه اللغة فألف كتابين مهمين لا يستغني عنهما الطالب .

واهم الكتب التي الفت باللغات الغربية عن اللغة الكردية يعود تاريخها الى عام ١٨٥٠ الى ١٨٩٠ ويعود القسم الأعظم من هذه المؤلفات الى مصنفين روس أذكر في مقدمتهم المؤلفين منهم واشهرهم جابا Jaba المستشرق الروسي الذي كان موظفا في السفارة فانه نشر عام ١٨٦٠ كتابه المسمى بما معناه «مجموعة فوائد وحكايات كردية» طبع في ترسبورغ (اليوم ليننغراد) وهو مجموعة قصص ادبية ، وقصائد شعرية باللغة الكرمانجية . ترجمت الى اللغة الافرنسية ولكن بغير تعليق او ملاحظة وهذا الكتاب مصدر بمقدمة بقلم المستشرق Lerch مؤلف كتاب Forschungen über die Kurden et Iranischen nord. اي ابحاث في الامور الكردية والارانية وهو مطبوع في عام ١٨٥٧ وهو كتاب جامع ومفيد بحث فيه صاحبه عن لغتي كرمانج وزازا واطل القياس وضرب الامثلة بينهما وبين اللغة الفارسية ولم ينس ترجمة عدة قصص وقصائد من القصص والقصائد الكردية المشهورة ونشر سوسين وبريم Prym و Socin مجموعة اسمياها منتخبات كردية Kurdish sammlungen طبع بترسبورغ عام ١٨٨٧ وهي مجموعة تضم مختارات وقصائد جمعها صاحبها اثناء سياحتها في ديار التيارية والهاكارية ولكنهما لم يبحثا عن القواعد الكردية وان اضافا اليه في الاخر معجما مختصرا للكلمات الغريبة الواردة في مطاويه . فهذا التأليف وان كان مفيدا لمن يحسن اللغة الكردية لكنه لا يفيد شيئا من يجهل القواعد الكردية ولا المبتدئين . وكاني بجستي Justi يشعر بهذا النقص فيسد في كتابه « غراما طبق كردي » (بترسبورغ ١٨٨٠) والشئ الذي يؤخذ عليه انه ارصد ١٠٥ صفحات من اصل صفحات الكتاب البالغة ٢٥٠ للبحث عن الحروف الصوتية وغير الصوتية الامر الذي ما كان يقع في اكثر من عشرين صفحة لو راعى الغرض دون الاطالة كما ان ابحاثه عن القواعد وان جاءت وافية بالمرام إلا انها لم تكن مرتبة ترتيبا يرتاح له القاري .

مخلصه شوقي امين الداودي